سألتني عن أناس هلكوا شرب الدهر عليهم وأكل وانما اراد بلاء كل
والشرب الافساد لهم والتغير لاحوالهم ومنه قول الاخر
تقر بعيني ان ارى باب دارها وان كان باب الدار يحسبني جلدا
والجواب الثاني ان يكون الاستهزاء المضاف اليه عز وجل ان يستدرجهم
ويهلكهم من حيث لا يعلمون ولا يشعرون ويروى عن ابن عباس رض قال
في معنى استدراجهم اياهم انهم كلما احدثوا خطيئة جدد لهم نعمة وانما سمى هذا
الفعل استهزا من حيث ان ما غيب تعم عنهم من الاستدراج الى الاهلاك غير ما
اظهر لهم من النعم كان المستهزي منا المخادع لغيره يظهر امرا ويضمر غيره
فان قيل على هذا الجواب فالمسلة قايمة واي وجه لان يستدرجهم بالنعمة الى
الهلاك قلنا ليس الهلاك ههنا هو الكفر وما اشبهه من المعاصي التي يستحق
بها العقاب وانما يستدرجهم الى الضرر والعقاب الذي استحقوه بما تقدم من
كفرهم ولله تعم ان يعاقب المستحق بما يشا اي وقت شا فكانه تعم لما كفروا
وبدلوا نعمة الله وعاندوا رسله لم يغير نعمه عليهم في الدنيا بل بقاها ليكون
متى نزعها عنهم وابدلهم بها نقما تكون الحسرة منهم اعظم والضرر عليهم اكثر فان
قيل فهذا يودي الى تجويز ان يكون بعض ما ظاهره ظاهر النعمة على الكفار مما لا
يستحق الله الشكر عليهم به قلنا ليس يمتنع هذا فيمن استحق العقاب وانما المنكر
ان تكون النعم المبتداة بهذه الصفة على ما يلزمه مخالفينا الا ترى ان الحيوة وما
جرى مجراها من حفظ التركيب والصحة لا يعد على اهل النار نعمة وان كان على اهل
الجنة نعما من حيث كان الغرض فيه ايصال العرض اليهم والجواب الثالث ان
يكون معنى استهزائه بهم انه جعل لهم بما اظهروه من موافقة اهل الايمان ظاهرا
احكامهم من نصرة ومناكحة وموارثة ومدافنة وغير ذلك من الاحكام وان كان تعم
معدا لهم في الاخرة اليم العقاب لما ابطنوه من النفاق واستسروا به من الكفر
فكانه تعالى قال ان كنتم ايها المنافقون فيما تظهرونه للمومنين من المتابعة والموافقة
وتبطنونه من النفاق وتطلعون عليه شياطينكم اذا خلوتم بهم تظنون انكم مستهزؤن
فالله تعم هو المستهزي بكم من حيث جعل لكم احكام المومنين ظاهرا حتى ظننتم ان

ما لكم ما لهم ثم ميز بينكم في الآخرة ودار الجزا من حيث اثاب المخلصين الذين توافق
ظواهرهم بواطنهم وعاقب المنافقين وهذا الجواب يقرب معناه من الجواب
الثاني وان كان بينهما خلاف من بعض الوجوه والجواب الرابع ان يكون
معنى ذلك ان الله تعالى هو الذي يرد استهزاكم ومكركم عليكم وان ضرر ما فعلتموه
لم يتعدكم ولم يحط بسواكم ونظير ذلك قول القايل ان فلانا اراد ان يخدعني
فخدعته وقصد الى ان يمكر بي فمكرت به والمعنى ان ضرر خداعه ومكره عاد اليه
ولم يضرني به والجواب الخامس ان يكون المعنى انه يجازيهم على استهزائهم فسمى
الجزا على الذنب باسم الذنب والعرب تسمي الجزا على الفعل باسمه قال الله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما
اعتدى عليكم وقال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به والمبتدا ليس
بعقوبة وقال الشاعر الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
ومن شان العرب ان تسمي الشي باسم ما يقاربه ويصاحبه ويشتد اختصاصه
وتعلقه به اذا انكشف المعنى وامن الايهام وربما غلبوا ايضا اسم احد الشيين على
الاخر لقوة التعلق بينهما وشدة الاختصاص فيهما فمثال الاول قولهم للبعير الذي
يحمل المزاده راوية وللمزادة المحمولة على البعير راويه فسموا البعير باسم ما يحمل
عليه قال الشاعر تمشي من الرده مشي الحفل مشي الروايا بالمزاد الاثقل
اراد بالروايا الابل ومن ذلك انهم يقولون صرعته الكاس واستلبت عقله قال
الشاعر وما زالت الكاس تغتالنا وتذهب بالاول الاول والكاس هي ظرف
الشراب والفعل الذي اضافوه اليها انما هو مضاف الى الشراب الذي يحل الكاس
الا ان العرب لا تقول الكاس الا بما فيه من الشراب فكان الاناء الفارغ لا يسمى كاسا
وعلى هذا القول يكون اضافة اختلاس العقل والتصريع وما جرى مجرى ذلك
الى الكاس على الحقيقة لان الكاس على هذا القول اسم للانا وما حله من الشراب
ومثال الوجه الثاني ما ذكرناه عنهم من التغليب تغليبهم اسم القمر على الشمس
قال الشاعر اخذنا بافاق السما عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع
اراد لنا شمسها وقمرها ومنه قول الاخر فقالا لا لاهل المكتين تحاشدوا

Copyright © King Saud University